السعادة والقانون

د. أحمد بن صالح البرواني

السعادة مطلب الجميع فكلنا نبحث عن السعادة والتي تحمل معنى راحة البال والطمأنينة وسكون النفس وهدوئها، وبالرغم من ذلك فيختلف تعريف السعادة من شخص لآخر ومن عالم لآخر ومن علم لعلم آخر، فعلماء الشريعة يبحثون عن السعادة في ضوء قواعد الكتاب العزيز وسنة النبي المصطفى، وعلماء النفس يبحثون عنها في قواعد مختلفة تتعلق بتحقيق الأفكار والطموحات وإشباع الغرائز، بل أن بعضهم يرى بأن السعادة تتمثل في التمرد على المجتمع والبعد عن كل ما هو مألوف، وعلماء آخرون يرون بأن الموسيقى والغناء يحققان السعادة فتلك الأصوات تبهج النفس وتريحها، ولن أستطيع أن أحصر أسباب السعادة لدى الجميع وبالتالي فلن أستطيع حصر تعريفات السعادة تبعا لذلك.

ولأن الله امتن علينا كمؤمنين بنعمة الهداية للإسلام، فلا شك أن تلك النعمة يجب أن يكون لها تأثير واضح في جميع شؤون حياتنا، فالصانع أعلم بصنعته، وما ينفعها وما يضرها أكثر من غيره فصانع الهاتف يعلم كيف يعمل وما هي الأمور التي تصيبه بالعطب وما هي البرامج الضارة به، وبلا شك فالله خالق الإنسان وهو خالق كل شيء وبالتالي فهو يعلم مصدر سعادتنا وشقائنا.

ولقد وردت كلمة السعادة في سورة هود، حيث قال عز من قائل {فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ} [الاية: ١٠٥]، وقال جل في علاه: {۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ} [الاية: ١٠٨]، وحدد الله أسباب السعادة في ست حالات لا تجتمع فيها مع الشقاء أبدا، وهي: بر الوالدين، والدعاء، و التمسك بالقرآن، واتباع هدى الله، وخشية الله، والتقوى، ولقد وردت في كتاب الله عز وجل، حيث قال جل جلاله: (وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً). (سورة مريم الآية ٣٢)،

وقال تعالى: (وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً)، (سورة مريم الآية ٤)

وقال جل شأنه: (مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى). (سورة طه الآية ٢).

وقال عز من قائل: (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى). (سورة طه الآية ١٢٣)

وقال جل شأنه: (سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى)، (سورة الأعلى الآية ١٠)، وقال تعالى: (فأنذرتكم ناراً تلظى لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى وسيجنبها الأتقى). (سورة الليل الآيات ١٤ – 17)

جعلنا الله وإياكم من سعداء الدنيا والآخرة.

ولعل من لا يزال يبحث عن العلاقة بين القانون والسعادة، وهو سؤال اسمعه كثيرا، ولعل الإجابة تكمن فيما يلي:

1. إن لقواعد القانون مكانتها ودورها الرائد في تنظيم شؤون الحياة في المجتمعات، وهي بلا شك تسعى لإسعاد الناس، وهي تنطلق في ذلك من مبادئ الشريعة الإسلامية وفق الأسس الموضوعية والعلمية المحكمة التي وضعها النبي الأكرم والسلف الصالح من علماء الأمة.
2. إن في بحور الشريعة الإسلامية قواعد جامعة مانعة صالحة للتطبيق اليومي، أخذها المشرع الوضعي ونص عليها كقواعد عامة في القانون الوضعي، ومن أهمها قاعدة (اليقين لا يزول بالشك، لا ضرر ولا ضرار) فهاتان القاعدتان مطبقتان في قواعد القانون الوضعي.
3. نص النظام الأساسي لسلطنة عُمان الصادر بالمرسوم السلطاني رقم 6 لسنة 2021 في المادة ٢ على أن: "دين الدولة الإسلام، والشريعة الإسلامية هي أساس التشريع". وبالتالي فالقوانين الوضعية يجب ألا تخالف القواعد الثابتة في الشريعة الإسلامية.
4. يضع المشرع الحلول الناجعة بإصدار التشريعات المناسبة لما يتطلبه حفظ الأمن والنظام العام في المجتمع وكفالة حفظ الحقوق وإيصالها لأصحابها، وهو بذلك يحقق الراحة والاطمئنان، وهذا تطبيقٌ للقواعد الإسلامية، فمما جاء في خطبة سيدنا أبو بكر الصديق عند توليه الخلافة: "الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه".
5. يسعى المشرع لإصدار قوانين تنظم أمور الناس في المجتمع ومن هذه التشريعات ما يحقق السلامة والأمن وبالتالي يشعر الناس بالسعادة كقانون المرور فهو ينظم حركة مرور مستخدمي الطريق، وبالتالي يستفيد جميع مستخدمي الطريق من الطريق ويحقق لهم كفالة الاستخدام الآمن للطرق وعدم الاعتداء على حقوقهم المرورية، وهذا الانتقال السلس والآمن يحقق السعادة إذ يتمكن الجميع من السعي للعمل وللاستجمام وطلب المصالح والمنافع من مكان لآخر.
6. يقرن المشرع مخالفة القواعد القانونية بجزاءات قانونية توقع على من يرتكب المخالفة، جزائية أو مدنية أو إدارية، وبلا شك إن هذه الجزاءات المراد منها منع من تسول له نفسه مخالفة القوانين واللوائح وبالتالي تحقيق السعادة للجميع حيث يلزم الجميع باتباع القانون ومن ينحرف سيجد جزاء مناسبا لانحرافه يعيده لجادة الصواب ويعيد الحقوق لأصحابها ويضمن لهم الحصول على التعويض المناسب عما أصابهم من ضرر.